«ثنائية فن من حلب» تعود إلى دمشق

بشير بدوي: أدخلت فكرة جديدة وهي استخدام الحروف وهذا ما أضفى على اللوحة بعداً آخر

نعمت بدوي: على الرغم من الحرب يبقى هناك أشياء جميلة ولطيفة ومن المفترض تسليط الضوء عليها

| سارة سلامة

احتضنت صالة «ألف نون» التي عودتنا دائماً احتضان الفن الجميل والراقي معرضاً فنياً، شارك فيه الأخوان بشير ونعمت بدوي تحت عنوان «ثنائية فن من حلب»، اللذان قدما من حلب إلى دمشق نافضين عنهما غبار حرب فرقتهما لسنوات.

المعرض ضم قرابة العشرين لوحة استخدما فيها كلاً من الخشب والمعدن بكل ما تحمله هذه المواد من روح جديدة تضفيها على اللوحة، فالخشب مع تشطيباته يدل على مرور الزمن والمعدن الذي يحول كل آثار الحرب إلى فن جميل.

الأخوان بدوي من الفنانين الذين يبحثون دائماً عن الجديد عبر تقنيات مختلفة ويبحثون في قدرة الألوان على صناعة فن مميز، في أعمالهما نرى نوعاً من البساطة والجمال ونرى الانتقائية والشرقية وهذا ما يوضح حساسيتهما الكبيرة للريشة واللون، ونشاهد الأيقونة لديهما بكل ما تحمله من قدسية تتخلى عن صبغتها الدينية وتحمل طابعاً فنياً وجمالياً وثقافياً رائعاً، فأتت هذه الأيقونة لتوحد كل الطوائف وليس لتحدد وتميز طائفة بعينها.

> د. بثينة شعبان: في كل لوحة قصة تقول إننا ما زلنا صامدين ونزداد غنى

د.بثينة شعبان

نعمت وبشير بدوي

معرض عشق لسورية

أكدت المستشارة السياسية والإعلامية في رئاسة الجمهورية الدكتورة بثينة شعبان في تصريح للصحفيين: إن «سعادتي كبيرة بمعرض «ثنائية فن من حلب» للأخوين بدوي حيث رسم بشير على خشب قديم عمره ٥٠ إلى ٦٠ عاماً، أما نعمت فأخذ قطعاً من آثار الحرب ليرسم عليها ويعيد لها الحياة راسماً فيها الابتسامة والتفاؤل، مضيفةً: إن «بشير ونعمت بدوي عملا بالأيقونات وحولا كل لوحاتهما إلى أيقونات ولكن هذه الأيقونات ليست ذات صبغة دينية فقط بل ذات صبغة ثقافية وصبغة سورية وهذه أيقونات تعبر عن أصالة هذا الشعب السوري وثقافته».

وبينت شعبان: أن «الأخوين بدوي كانا في حلب ولم يغادراها ولم يغادرا الصمود والصلابة، وإذا ما دققنا في لوحاتهما نجد في كل منها قصة تقول إننا ما زلنا موجودين وصامدين ونزداد غنى وهذا في الحقيقة سرّ صمود سورية، مفيدة أن «هذا المعرض جزء أساسي من هوية سورية الثقافية فالأخوان بدوي حولا آثار الحرب إلى شيء إيجابي ولم يعد هناك شيء محدد لطائفة محددة وهذا ردّ على كل من حاول أن يفرقنا إلى شيع وأحزاب، وأعادا خلقها ليجعلا من هذه الحرب فجراً جميلاً لسورية».

وأوضحت شعبان أن «كل سوري هو بطل وكل سورية هي بطلة لأنهم عشاق لهذا البلد، وهذا المعرض هو معرض عشق لسورية ولثقافتها، وختاماً قالت شعبان: إنه «لشيء جميل ما تقدمه صالة «ألف نون»، بهذه المبادرة الجميلة من الفنان بديع جحجاح الذي يحتضن كل هذه المعارض الجميلة، لأن هذه المعارض تدل على أن الشعب السوري لا يموت ومتجذر في هذه الأرض وعاشق لترابها ويعيد خلق سورية من جديد في كل مرة يحاولون أن ينهوها».

الخشب يضفي بعداً جمالياً

ومن جهته قال الفنان بشير بدوي المشارك في المعرض: إنه «وبعد غياب طويل من مشاركتنا الثنائية في دمشق نتيجة للظروف والحرب نعود مجدداً لنفتتح معرضاً ثنائياً أنا وأخي نعمت، حيث قمنا بالتحضير له منذ العام الماضي، ليضم قرابة العشرين لوحة من أعمالي وأعماله، وفي الحقيقة نختلف في المواد المستخدمة بلوحاتنا، حيث أدخل نعمت في اللوحة كلاً من الخشب والمعدن، أما أنا تقنياً فاخترت الرسم على الخشب مستخدماً الألوان الزيتية بشكل شفاف لأحصل على إحساس وكأنها أيقونة وأدخلت الورق الذهبي».

وأضاف بشير: إن «الخشب يعتبر قديماً نوعاً ما لأن هذا القدم يشبه الإنسان له جمالية خاصة عندما يكبر وتحفر به خطوط الزمن، ومن خلال ترميمي للوحات وعمل الأيقونات فإن إحساسنا بالقطعة القديمة يضفي جمالية بشكل أكبر من الناحية التقنية ولذلك فإن الخشب أضاف للوحة بعداً جميلاً وحاولت استخدامه في أغلب اللوحات».

وبيّن بشير: إنني «تناولت في هذا المعرض مواضيع إنسانية عن الطفولة وكذلك لوحتان للسيدة فيروز لأنني أحبها وكذلك لعشقي في رسم «البورتريه»، وأدخلت من خلال هذا المعرض فكرة جديدة وهي استخدام الحروف وهو ما أضفى على اللوحة بعداً آخر».

لا أريد أن أحلم كثيراً

وبدوره قال الفنان نعمت بدوي: إن «هذا المعرض ليس الأول وهو المعرض الـ١٦ لي ولأخي بشير حيث كان آخر معرض لنا في العام ٢٠٠٤، وقد غبنا فترة طويلة وبعدها أتت الحرب وانقطعنا، وفي العام الماضي شاركنا في معرض جماعي بعنوان «حلب قصدنا وأنت السبيل» كذلك في صالة «ألف نون»، ومعرضنا هذا يضم ٢٠ لوحة».

وأضاف نعمت: إن «أعمالي تميزت بالصفائح المعدنية المؤكسدة أما بشير فعمل على خشب قديم محافظاً على نسيج الألياف الخشبية، وتدور أعمالي حول مواضيع كثيرة وقريبة من الواقع المحيط بنا مثل: الأطفال، الأسرة، وحتى الأشياء الصغيرة التي نراها كل يوم وتكون قريبة من الطاولة أو المكتبة ومن يومياتنا، فأنا شخص لا أريد أن أحلم كثيراً ولكن أستطيع أن أخلق من هذه الأشياء الصغيرة الأمل وأسلط الضوء عليها، وعلى الرغم من هذه الحرب التي مرت بها سورية يبقى هناك أشياء جميلة ولطيفة ومن المفترض أن نركز ونسلط الضوء عليها وذلك من خلال الإخلاص بالعمل وليس من خلال الاستهتار».

وبيّن نعمت أنه «من الطبيعي أن يكون هناك صعوبة في استخدام المعدن ولكنني أحب النحت وأحب المادة والملمس وبالنسبة لي هذا شيء مهم جداً، ومتأثر به من خلال ترميمي للأيقونات القديمة وبعض الأشياء الأثرية الأمر الذي ساعدني بتطوير مفهوم الأيقونة لكيلا تبقى ضمن إطار ديني بل لتكون في إطار مدني وفني وثقافي».

الخطيئة لن تمر في سورية

أما الفنان بديع جحجاح فقال: إن «معرض «ثنائية فن من حلب» يضعنا أمام تيار جميل رومانسي ساحر ضد التيارات التي تستسهل الحركة التشكيلية الفنية والتجريدية والتيارات المختلفة التي لها علاقة بتهديم هذه المقاييس وهذه النسب الإنسانية والبعيدة عن كل الرموز المشرقية».

وأضاف جحجاح: إن «هذا المعرض يتكلم عن نهاية عام ٢٠١٧ بكل ما يحمله من مزيج وثنائية في الحب نحن الآن بأمس الحاجة لها أمام انتصارات جيشنا وصبر قائدنا وهمة شعبنا الذي يترقب النصر القادم، ونحن اليوم لسنا بحاجة إلى لوحة تتكلم عن حال الفنان الفردي ولكننا بحاجة إلى لوحة تنعش التدفق الروحاني أمام هذا المشرق الذي يطلب منا إعادة تشكيل رموز مختلفة وجديدة أمام أجيال تتوق إلى فن يتكلم عن هوية».

وأوضح جحجاح أن «الفنان الحساس والمغرق بالمشرقية هو شخص يعانق الطبيعة واليوم عندما نستخدم معدناً مؤكسداً وتؤثر فيه الطبيعة يصبح جزءاً منها، أو نستخدم روح الخشب مع كل هذه السنوات التي تظهر من خلال التشطيبات وتتحول كإنسان إلى جزء من هذا التحول الطبيعي، واستخدام هذه المواد هو دلالة العيش ودلالة على أننا شعب حيّ نعيش ونفهم ونستوعب ونتفكر ونتأمل ونعرف بأن الخطيئة لن تمر في سورية إطلاقاً، ونلاحظ من خلال المعرض اختفاء أي تأثير للحرب وكأننا خارج الحرب وخارج هذا التدمير الممنهج لنقول إن الإنسان السوري هو معدن مثله مثل الذهب».

هاربون من العصور الوسطى

ومن جهته قال الفنان التشكيلي جمعة نزهان: إن «هذا المعرض مكتمل وهؤلاء الشباب لديهم طاقة كبيرة وأشعر بأنهم هاربون من العصور الوسطى أو من عصر النهضة، والفنان المجتهد هو الذي يطور أدواته، والأخوان بدوي من الأشخاص الذين اجتهدوا ليطوروا أدواتهم الفنية، وفي الحقيقة اعتدنا في صالة «ألف نون» على المفاجآت وهي التي خلقت في فترة الأزمة وقدمت أكثر من تجربة فنية لأكثر من فنان ونجحت في هذا التقديم وهذا المعرض هو استمرار للمشروع الذي نعمل عليه، والأخوان بدوي من الفنانين الذين صمدوا في الأزمة وظلوا يرسمون ويبحثون في التقنيات والألوان، كما أن أعمالهما من النوع السهل الممتنع فالناظر إلى اللوحة يراها بسيطة جداً وكذلك فإن حساسيتهما للريشة وللون عالية، والتكوينات لديهما بسيطة ولوحتهما مثل أيقونة وفي ذات الوقت ألوانهم شرقية من ناحية الدلالات والرموز ومن ناحية المواضيع المشغولة باللوحة».

كوعلٍ في الغابة روى أساطيره اليومية

رياض الصالح الحسين... بسيطٌ كالماء واضحٌ كطلقةِ مسدّس

| أحمد محمد السّح

أطل رياض الصالح الحسين على المشهد الشعري عام ١٩٧٩ من خلال مجموعته الأولى «خراب الدورة الدموية» وعمره وقتها خمسة وعشرون عاماً، أراد وقتها أن يطلق صرخته الأولى بمجموعة من القصائد الطويلة، وعندما أقول طويلة فنحن نحكي عن قصائد تتربع على عدد من الصفحات، بجمل شعرية طويلة، لا بحروف متناثرة هنا وهناك كما درج الآن وقبل ذلك في قصيدة النثر، بل على العكس، كان رياض الحسين يتقن قصيدة النثر ويعرف كيف يميز الكلام العادي من القصيدة، فهو شاعرٌ يخلق القصيدة من يوميات الصورة التي يتابعها، وهو الشاعر الأصم الذي أصابته الإعاقة في صغره، وتحديداً عندما كان عمره ١٣ عاماً، حينها فقد رياض قدرته على السمع والنطق إثر جراحة ولم يكمل تعليمه. في خراب الدورة الدموية عرّف عن نفسه وحاور قارئه كثيراً، ففي قصيدة له كتبها وعمره اثنان وعشرون عاماً كتب:

(أيتها السكاكينُ المسكينةُ
أيها الحبُّ الإنساني القذر
أيتها الكلاب المعبأةُ بالمقانق والمحبة وعبير النعناع
أنا رياض الصالح الحسين
عمري اثنتان وعشرون برتقالةً قاحلة
ومئات المجازر والانقلابات
وللمرة الألف يداي مبادتان)

يبدو الشاعر في هذا المقطع تحديداً تلميذاً نجيباً في المدرسة الماغوطية، فهذه النداءات اللاذعة كان الشاعر محمد الماغوط قد أصر على استخدامها على الرغم من انتقادات النقاد له، وخاصة الناقدة خالدة سعيد لكنه جعلها بصمةً خاصة في مدرسته الشعرية، كما أن رياض الحسين تميز بطول جملته الشعرية، فقد كان قادراً على امتلاك نفس شعري طويل ويبتعد عن التقطيعات الخاطئة التي يمارسها شعراء قصيدة النثر بالانتقال بالنبرة الشعرية من دون مسوغات ومن دون نبرة إلا أن الحسين تميّز باستكمال عبارته حتى آخر نفس كما قصيدته «مارسيليز العصر النيوتروني»:

(في عصر الحب البلاستيكي والقلوب البلاستيكية
ثمة قطاراتٌ تذهب بالجنود إلى الموت في الأعياد
وثمة مهرجون يبكون على أنفسهم سراً
ويُضحكون الآخرين على الحلبة)

سميت قصيدة رياض الصالح الحسين بقصيدة التفاصيل اليومية، وربما يعود ذلك بشكل واضح إلى مجموعته الثانية «أساطير يومية عام ١٩٨٠» التي ظهر فيها شاعراً راصداً لما يحدث حوله، وقارئاً نهماً ومطلعاً جيداً عبر وسائل الإعلام على ما يحدث في العالم، فبنى قصيدته اعتماداً على هذه التفاصيل والالتقاطات، وقد رافقته هذه الميزة عبر مجموعاته الشعرية الأربع لكنها تكرست في أساطير يومية كسمة التصقت بشعره عرفها أصدقاؤه، ولاحقاً انتبه إليها دارسو شعره، في قصيدته «الكلمة الأخيرة»:

(عن الحب والأحذية والإمبريالية
عن حليب الماعز وحليب الأمهات
عن جدول ضرب الموتى وعمليات تقسيم الجثث
عن الأوطان البعيدة والوطن القريب
عن كومونة باريس وصناعة المرطبات
وثياب الهبيين وعلي كتخدا...
كتبتُ وكتبتُ وكسرتُ الأقلام)

جاءت بعدها المجموعة الشعرية الثالثة «بسيطٌ كالماء واضحٌ كطلقة مسدس – عام١٩٨٢» كان لهذه المجموعة انتشارها الأوسع وتكريسها لاسم رياض الصالح الحسين شارعاً علامةً في قصيدة النثر، وأباً حنوناً لقصيدة التفاصيل اليومية، عنوان هذه المجموعة بدا وكأنه ربط شعري لشخص رياض الصالح الحسين وللغته الشعرية أيضاً، البسيطة والواضحة، ولربما أستطيع أن أضيف من دون خوف، العميقة كذلك. هذه المجموعة هي الأولى التي يصدرها الشاعر لدى دار نشر خاصة بعد أن كانت سابقاتها من منشورات وزارة الثقافة، وهي المجموعة التي قدّم لها سعدي يوسف حيث يمر مروراً مهماً على تجربة الصالح الحسين كاملةً ويفرد الصفحات لمناقشة تفاصيل قصيدته ويمر على كل مجموعة على حدة، وعن هذه يقول سعدي يوسف:

(تستغرق المجموعة ثلاثة أقسام: تفاصيل– انفجارات– يوميات، وربما كان الأقرب إلى الحقيقة أن يتواجه في المجموعة تفاصيل ويوميات إزاء انفجارات)، هنا يكشف لنا سعدي يوسف سمة الانفجارات التي تظهر في هذه المجموعة وهي فصلٌ فيها وسمةٌ في الشعر بعد أن تمرّس الصالح الحسين على لغة اليوميات والحوارات مع الآخر، فهو يتخيل دائماً رغبته في أن يحكي لآخر، أو يتحدث إلى امرأة، تقول له ويقول لها من خلال قصيدته، فيصور من خلال لغته الشعرية المحيط والتفاصيل والجورات، لذا يمكن أن نقول: إن قصيدته هي سيناريو متكامل فيه كل مضامين السيناريو وسماته، ومن هذه المجموعة «أيتها الأحجار استمعي إلى الموسيقا» يقول:

(غداً صديق قديم:
«إنهم يموتون بالآلاف في سجون سنتياغو»
غداً، فلكي عجوزٌ:
«برج الحوت سيذهب إلى الجحيم»
غداً، فلاحةٌ طويلة:
«الأمطار قليلة هذا العام»
غداً..
رسالة إلى امرأة مجهولة:
«أريد أن أحدثك طوال شهر أيلول»)

تعتبر قراءة تجربة رياض الصالح الحسين ومتابعة تناميها أمراً متنامياً بحد ذاته مع كل قصيدة، وهذا هو الأصعب للإحاطة بسماته كشاعرٍ مختلف باختلاف كل لحظة، لكنه يعرف وجهة بوصلته وانحيازه للحب ولقلبه الجريح، وانتصاره للإنسان.. كانت هذه المجموعة هي آخر مجموعة تصدر وهو على قيد الحياة، لتصدر بعدها مجموعته الأخيرة بعد موته الذي وافق ١٩٨٢/١١/٢١ ، إثر خطأ طبي غامض في مشفى المواساة في دمشق، ولكنه كان قد نضّد مجموعته الأخيرة التي ستصدر بعد موته عن وزارة الثقافة، ويضع لها عنوانها «وعلٌ في الغابة» ففي مدخل المجموعة يصف «غرفة الشاعر»:

(ماذا يأخذ من جثث الأيام
وماذا يترك
غير قصائد ذابلة
وغبار الكلمات
وبعد قليل
سوف يداهمه الشرطيّ
ليسأله عن جمل غامضة
ويحذّره من استعمال «القبلة» و«القنبلة»)

هنا جملة الشاعر باتت أقصر، وقصائده كذلك أقصر،حتى عناوين القصائد باتت كلمة واحدة أو كلمتين، بعد أن كانت جملاً شعريةً طويلة تخلق الصدمة للقارئ فتشده إليها، لكن الصالح الحسين لم يفقد فكره الشعري، ولم يفقد عينه الفاحصة ورغبته الكاملة في وصف كل ما يراه أمامه وفق رؤيته، ولم يكتف بالوصف فقط، ولربما لو أردنا أن نسرح في خيالنا لتم تفسير سهاب فيه.. وعن «الحب» يكتب:

(الحب ليس أغنية جميلة
نتعلمها بغتةً، وننساها بغتةً
كما ننسى عندما نكبر
الطفولة واللعب وحليب الأمهات
الحب...
شهادةُ ولادة دائمة
نحملها برأسٍ مرفوع
لنخترق شارع المذبحة)

عام ٢٠١٥ فوجئت حين كانت الأعمال الكاملة لرياض الصالح الحسين تتصدر أعلى قوائم المبيعات، وقتها كان لا بدّ أن تحل ذكرى رياض الصالح الحسين الذي عانى ما عانه في حياته، لكنه كان قليل الشكوى، يخبرك محدثوه ومعاصروه أنه كان متحفظاً حول حياته الشخصية، مخفياً عوالمه، لكنه يعرضها في قصيدته، وهو الذي يتكلم في الشعر من دون سواه الذي عاش لأجله، ومات بتفصيل من تفاصيل الحياة اليومية، خطأٌ طبيٌ تافه غيب شاعراً كانت قصيدته كاميرا للتفاصيل اليومية.
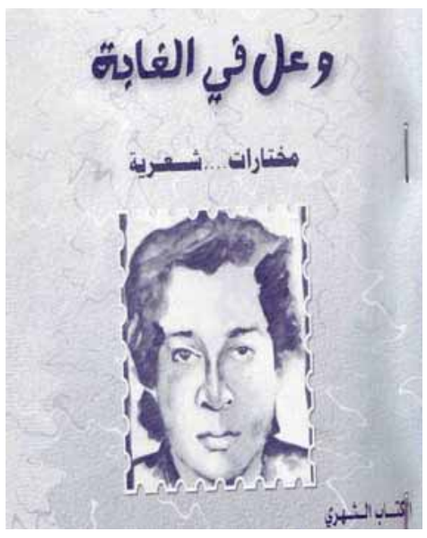
رياض الصالح الحسين